الباب الثانى

حرب فلسطين ١٩٤٨

الفصل الأول : الموقف السياسى والعسكرى فى مصر والدول العربية

الفصل الثانى : أحداث حرب فلسطين ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
الموقف السياسى والعسكرى فى مصر والدول العربية

نشبت حرب ١٩٤٨ بين العصابات الإسرائيلية، كما كان القادة العرب يعتقدون أو جيش الدفاع الإسرائيلى كما أسماه الإسرائيليون بعد إعلان دولة إسرائيل، فى ظروف قلما تتوفر لقيام دولة على أرض دولة أخرى، فالدول العربية واقعة تحت الاحتلال الأجنبى بمسميات مختلفة منذ العشرينيات من القرن العشرين، فمنها ما كان تحت الوصاية، ومنها ما كان تحت الانتداب، ومنها ما كان تحت الحماية، والباقى كان محتلاً احتلالاً صريحًا، وبقيت بعض دول الجزيرة العربية مستقلة اسمًا، وإن كانت فى الحقيقة خاضعة تمامًا للنفوذ الغربى بواسطة شركات البترول الإنجليزية والأمريكية التى كانت تعتبر بمثابة السلطة الاستعمارية المقنعة والمغلفة فى إطار المحافظة على مصالح الشركات التى حصلت على امتيازات ضخمة للتنقيب عن البترول فى المنطقة العربية، ومن ثم أصبح لديها القناعة أنها صاحبة الفضل على هذه الدول المتخلفة؛ لنقلها من عصر الفقر والحياة الرعوية الصعبة إلى عصر الثروة الضخمة والرفاهية غير المسبوقة، وكان على هذه الدول أن تدفع ثمن التطور من استقلالية قرارها رغم استقلالها النظرى.

الموقف السياسى الداخلى فى مصر:

كان الموقف السياسى الداخلى فى مصر مشتتا بين مواجهة الإنجليز المتمركزين فى منطقة القناة بعد معاهدة ١٩٣٦، وبين مواجهة المسئولية العربية المشتركة تجاه فلسطين، وبعد مناقشات سياسية عديدة استقر الرأى على تركيز الجهود المصرية ضد التهديد البريطانى وعدم القتال خارج الحدود، على أن يتم دعم الفلسطينيين عن

طريق المال والسلاح، واقتصر الموقف المصرى على استنكار قرار التقسيم الدولى الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، وكان هذا الموقف هو نفس موقف باقى الدول العربية حتى ١٠ مايو ١٩٤٨ الذى تصاعدت فيه المظاهرات والمطالبة الشعبية بضرورة الاشتراك فى حرب فلسطين.

وربما وجدت الحكومة المصرية برئاسة النقراشى باشا وبمباركة مجلس الشيوخ برئاسة محمد حسين هيكل باشا، فى تلبية هذا المطلب مخرجًا مناسبًا من قضايا البناء الداخلى والمطالب الاقتصادية والوطنية للشعب، فكان قرارها بدخول حرب تحرير فلسطين رغم معارضة إسماعيل باشا صدقى رئيس الوزراء الأسبق، ورغم علم الحكومة بسوء حالة الجيش من الناحية العددية والتسليح ومستوى التدريب اعتقادًا منها بعدم قدرة القوات الإسرائيلية على الصمود أمام الجيوش العربية المجتمعة، وعلى أمل أن تعترض قوات سلطات الانتداب البريطانية المتمركزة فى رفح طريق القوات المصرية وتمنعها من المرور إلى فلسطين، وبذلك تتجنب الحكومة المصرية الحرج مع باقى الدول العربية.

الموقف السياسى الخارجى:

بصفة عامة، تجمعت عدة ظروف لخدمة الصهيونية، كان أهمها اعتلاء الولايات المتحدة الأمريكية لمنصة القيادة للغرب المؤيد لقيام دولة إسرائيل، واستمرار بريطانيا فى دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ لتمكين اليهود من إنشاء الوطن القومى الذى يعنى أن تكون أغلبية سكانه من اليهود، وتفصيلاً كان الموقف السياسى المحلى والدولى كالآتى:

* بصدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، بتقسيم فلسطين، امتلك اليهود الأحقية القانونية لإقامة الدولة على ٥٦ ٪ من أرض فلسطين طبقًا لقرار التقسيم الدولى الذى صدر بمباركة الغرب، وقاموا مبكرًا بالإعداد لذلك فى حماية بريطانيا المنتدبة على فلسطين، وبالتالى سيطر اليهود على القدرات الاقتصادية والمناطق الحيوية بفلسطين، وتمكنوا من توفير الأجهزة الإدارية التى يمكنها القيام بأعمال الحكومة فى شتى المجالات، وهو ما افتقده الفلسطينيون.

* ثم تزايدت سيطرة اليهود على فلسطين من خلال أعمال الإرهاب الذى لم يصمد الكثير من الفلسطينيين أمامه، فهاجر الكثير منهم إلى الدول العربية المجاورة التى لم تواجه الموقف من خلال استراتيجية عربية موحدة، واقتصر تدخلها على الإمداد بالمتطوعين والمال والسلاح.

* كما نجحت الصهيونية فى كسب عطف وتأييد العالم من خلال التركيز على جرائم النازية ضد اليهود، باستغلال تفوق أجهزة الإعلام لديهم فى الوقت الذى غاب فيه الإعلام العربى عن الساحة.

الموقف العسكرى قبل بدء الحرب:

لاشك أن المؤامرة الصهيونية / البريطانية - إن لم تكن العالمية - لاغتصاب فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل عليها كانت محبوكة الأطراف بدرجة يصعب على الدول العربية مواجهتها فى الوقت المناسب، ولعل أهم عناصر هذه المؤامرة هو بقاء فلسطين تحت الانتداب البريطانى، ثم قرار بريطانيا بإنهاء انتدابها فجأة، وقبل الموعد المحدد بعدة شهور وليلة إعلان قيام دولة إسرائيل، فهى بذلك قد حرمت الجيوش العربية النظامية من دخول فلسطين طالما كانت تحت الانتداب، ثم أنهته فى التوقيت الذى استعدت فيه القوات الإسرائيلية، وهو نفس التوقيت الذى لم تكن فيه الجيوش العربية قد استعدت بعد، وبالتالى بدأت المعركة فى التوقيت المناسب للإسرائيليين والغير مناسب للعرب، الذين كانوا يشكون فى إمكان اشتراك قوات يهودية كبيرة لقتال الجيوش النظامية المحملة بالسلاح والمعدات الحربية، ومن الواضح أنهم كانوا على خطأ فالموقف العسكرى تفصيلاً كان كالآتى:

* تواجد حوالى ٦٠ ألف مقاتل من السكان اليهود فى فلسطين على درجة مناسبة من التدريب والاستعداد ومنظمين فى تنظيمات عسكرية قوية ومسلحة تسليحًا جيدًا، وتوفر لهم كوادر قيادية يهودية على درجة عالية من الخبرة والكفاءة، بالإضافة إلى وجود حوالى ٣٥ ألف يهودى فى الدول الأوروبية ممن اشتركوا فى

الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء، وهؤلاء كان ينتظر تدخلهم فى القتال بعد بدايته، وفى المقابل برز ضعف التنظيمات شبة العسكرية العربية، كذلك ضعف الكفاءة القتالية للجيوش النظامية للدول العربية، وعدم خضوعها لقيادة موحدة.

* ولم يكن بإمكان الجيش المصرى أقوى الجيوش العربية توفير أكثر من لواء مشاة مدعم ببعض الوحدات الفرعية المدرعة، ولم يسبق لهذه القوات الاشتراك فى عمليات أو إجراء مناورات على هذا المستوى، علاوة على سوء حالة الحملة ونقص الذخيرة، كما لم تكن حالة القوات الجوية أو البحرية المصرية بأحسن حال من القوات البرية، وكانت أقصى إمكانياتها هو تقديم المعاونة لمجموعة اللواء المُشاة وحماية الجانب الأيسر للقوات البرية من ناحية البحر.

أهداف الحرب للجانبين المتحاربين:

* كان الهدف الإسرائيلي نابعًا من الهدف الصهيونى، وهو الاستيلاء على كل أرض فلسطين لإقامة الوطن القومى لليهود، وقد خططت الصهيونية لهذا الهدف قبل إعلان الدولة بخمسين عامًا على الأقل، نجحت خلالها فى أن تعد العدة جيدًا لما أسموه فيما بعد بحرب التحرير.

* وكان الهدف العربى الذى أعلنته الجامعة العربية عقب الاجتماعات المنفصلة للقادة العرب فى الفترة بين الاجتماع الثامن لمجلس الجامعة الذى تم فى فبراير ١٩٤٨ وحتى قرار الدول العربية بدخول الحرب فى فلسطين، هو الدفاع عن مصالح عرب فلسطين، وأضافت مصر إليه أنها تدخل هذه الحرب؛ لإعادة احترام المبادئ الأخلاقية العامة والمبادئ التى أقرتها الأمم المتحدة، وهى كلها - كما نرى - أهداف غامضة وفضفاضة لا يمكن أن تتجمع حولها الدول العربية، ومع ذلك فقد كان الدافع القومى والدينى هو المحرك الأساسى لدخول الدول العربية الحرب وهو دافع يعتبر كافيًا للحرب ومحركًا لهمم الرجال؛ لإحراز النصر وهزيمة العدو لولا وقوع معظم الدول تحت الاحتلال، أو الوصاية، أو الانتداب، أو الحكم العميل، أو الفاسد، أو الضعيف.

موقف القوات المسلحة العربية والإسرائيلية :

فى الوقت الذى امتلكت فيه الكوادر العسكرية الإسرائيلية خبرة الحرب والقتال التى اكتسبتها فى مسارح الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت الجيوش العربية تفتقر إلى الكوادر ذات الخبرة والتجربة الميدانية . وفى الوقت الذى امتلكت فيه القوات الإسرائيلية الأسلحة الحديثة والذخيرة كانت الجيوش العربية تفتقر إلى السلاح الحديث والذخيرة الصالحة ، وزاد الطين بلة انعزال رجال الحرب عن رجال السياسة ، وانعدام الثقة بينهما مما أضعف كفاءة الجيوش بصورة كبيرة .

وعلى الجانب الآخر نجح الإسرائيليون فى إقناع المهاجرين اليهود بأنهم يدافعون عن الوطن المنشود ، بينما فشل العرب فى تهيئة جيوشهم معنويًا ؛ لدخول الحرب ورغم الشعور الوطنى الفردى للجنود والضباط الذي كان حافزهم الأساسى لما أدوه من بطولات فى هذه الحرب ، إلا أن الموقف الشامل لم يكن بأى حال فى صالح القوات العربية كما سنرى فى السطور التالية :

قوة وكفاءة الجيوش العربية :

أولاً ـ قوات شبه نظامية :

* الهيئة العربية العليا : وقوامها حوالى ١٥ ألف مجاهد .

* جيش الجهاد المقدس : ويتكون من حوالى ٤٠ ألف متطوع عربى مسلحين ببعض الأسلحة الصغيرة والرشاشات وينقصها الذخيرة .

* جيش الإنقاذ : ويتكون من قوات شبة نظامية من الدول العربية قوتها ٧٧٠٠ فرد مشكلة فى حوالى ٨ كتائب ، بكل كتيبة ٢٥٠ بندقية أى أن الإجمالى حوالى ٢٠٠٠ بندقية .

* القوة الخفيفة المصرية : وكانت تتكون من المتطوعين المصريين بقيادة الشهيد البطل المقدم أحمد عبد العزيز ، وكانت مسلحة بالبنادق والرشاشات وبعض مدافع الهاون والهاوتزر والمدافع المضادة للدبابات .

* كتيبة البعث العربى : أرسلها حزب البعث العربى السورى إلى فلسطين .

ورغم كثرة عدد هذه القوات، إلا أن ضعف تسليحها وقلة ذخيرتها قد قلل إلى حد كبير من كفاءتها القتالية وقدرتها على القتال المؤثر .

ثانيًا ـ القوات النظامية :

* الجيش المصرى : مجموعة لواء مشاة وكتيبة دبابات وفوج مدفعية بإجمالى ٥٠٠٠ فرد، ومعه قوة سودانية تحت قيادة الكتائب النظامية، بالإضافة إلى ٦ طائرات مقاتلة و٥ طائرات نقل وطائرة استطلاع، علاوة على كاسحتى ألغام وخمسة زوارق إنزال، تستطيع إنزال حتى سرية مشاة .

* جيش شرق الأردن : حوالى ٤٥٥٠ مقاتل يقودهم الفريق جون جلوب، وهو إنجليزى الجنسية .

* جيش العراق : وقد بلغت قوته ٢٥٠٠ مقاتل، بالإضافة إلى قوة جوية من سرب قاذفات ورف مقاتلات .

* جيش سوريا : بلغ عدده حوالى ١٨٧٦ مقاتل، عبارة عن كتيبتين من المشاة وكتيبة مدفعية عيار ٧٥ مم .

*جيش لبنان : وقد بلغ تعداده حوالى ١٠٠٠ مقاتل، عبارة عن كتيبة من المشاة وكتيبة مدفعية عيار ٧٥ مم .

ومما سبق يتضح أن سبع دول عربية (باشتراك قوات من السودان تحت قيادة القوات المصرية) لم تستطع أن تحشد وتدفع إلى المعركة أكثر من ١٥ ألف مقاتل مشكلين فى حوالى ١٤ كتيبة مشاة ودبابات ومدفعية، وقد زاد الجيش المصرى من حجم قواته إلى ١٥ ألف مقاتل، نتيجة تركيز عمليات العدو ضده بشكل عام، وبذلك أصبحت قوة الجيش المصرى فى هذه الحرب حوالى ٣ لواءات مشاة .

أما من ناحية الكيف، فلا شك أن سيطرة الدول الاستعمارية على الدول العربية فى الفترة السابقة للحرب وتدخلها فى تسيير دفة الحكم فيها كان له أثر كبير فى

obeikandl.com

ضعف حالة تلك الجيوش من ناحية التسليح والحملة والتدريب، بالإضافة إلى افتقارهم للقيادات الخبيرة، واعتمادهم على الدول المستعمرة للإمداد بالسلاح والذخيرة.

ومع كل هذا فقد كانت الروح المعنوية مرتفعة فى بداية المعركة نتيجة للدوافع القومية والدينية.

أما قوة وكفاءة القوات الإسرائيلية فكانت كالآتى:

* عشرة ألوية من الهاجاناه والبالماخ قوتها ٤٠ ألف فرد.
* جيشًا ميدانيّا ذا قدرة كبيرة على الحركة قوته ١٦ ألف فرد.
* قوة ضاربه خفيفة الحركة من البالماخ قوتها ٦ آلاف فرد.
* قوة من عصابات الأرجون والشتيرن قوتها ٥آلاف فرد.
* بالإضافة إلى حرس المستعمرات الذى يقدر بحوالى ١١ لواءً بمعدل فصيلة مشاة لكل مستعمرة من عدد ٢٩٧ مستعمرة كانت موجودة ليلة إعلان دولة إسرائيل.

وعلاوة على ذلك كان لدى إسرائيل حوالى ١٩ طائرة، وعدد من زوارق الطوربيد، كما قامت إسرائيل بعمل تعديلات فى بعض الطائرات المدنية والسفن المدنية؛ لاستخدامها فى العمليات الحربية، وقد تمكن الإسرائيليون من الحصول على أسلحة جديدة من أمريكا والاتحاد السوفييتى، ومع ذلك قاموا بتصنيع بعض الأسلحة، وجهزوا بعض المصفحات المجهزة محليًا، وكما سبق الحديث فقد كانت القوات الإسرائيلية جيدة التدريب، ولها قيادة ذات خبرة، بالإضافة إلى تمتعها بوحدة الهدف الذى تقاتل من أجله ووضوح هذا الهدف، وهو تحرير أرض الوطن المنشود.

أهداف ومهام الجيوش العربية (الخريطة رقم ٤):

حُدّدَ لكل جيش عربى هدف يصل إليه فى وقت معين على أن تصدر بعد ذلك

obeikandl.com

أوامر أخرى حسب الموقف مما يتضح معه عدم وجود خطة شاملة منسقة تحت قيادة واحدة أو موحدة.

وكان نصيب الجيش المصرى هو : تحرير القطاع جنوب غرب فلسطين الذى يمتد من رفح والعوجة إلى غزة وبيرسبع، ثم إلى يافا والرمله والتقدم نحو تل أبيب، على أن تقوم القوة الجوية المصرية بتقديم المعاونة للجيش أثناء تقدمه، وتشترك مع القوات البحرية المصرية لحماية الجانب الأيسر للجيش ومراقبة السواحل الفلسطينية وفرض الحصار عليها.

وقد حددت القيادة المصرية أهداف الجيش المصرى فى الآتى :

* الاستيلاء على المستعمرات التى تهدد الطريق الساحلى كمستعمرتى دير سيند ونتسانيم.

* عزل باقى المستعمرات الموجودة فى جنوب فلسطين ومنعها من التدخل فى المعركة.

* الاستيلاء على المدن المهمة مثل بيرسبع والمجدل ويافا والرملة.

* حصار تل أبيب من اتجاه الغرب.

أهداف ومهام الجيش الإسرائيلى :

كان الهدف الاستراتيجى للجيش الإسرائيلى واضحًا ومحددًا، وهو الاستيلاء على كل ما يمكن من أرض فلسطين، ووضع العرب والعالم أمام الأمر الواقع، وذلك من خلال عدة مراحل، لكل مرحلة هدف وطبيعة، مع إتاحة حرية التصرف للقادة فى إطار الهدف الشامل، وهو الاستيلاء على كل ما يمكن من أرض فلسطين، واشتمل التخطيط الإسرائيلى على ثلاث خطط رئيسية كالآتى :

الإرهاب :

اتخذت إسرائيل من الإرهاب وسيلة أساسية؛ لإشاعة الذعر بين الفلسطينيين

وإجبارهم على بيع أراضيهم أو تركها والنزوح إلى خارج فلسطين، وذلك من خلال المذابح الجماعية والغارات على القرى والتجمعات الصغيرة بدعوى تحقيق النقاء العنصرى لليهود على أرض الوطن.

الدفاع:

ويمثل المرحلة الثانية وكان الهدف منها هو صد هجوم الجيوش العربية وإنهاكها فى معارك متتالية واستنفاذ قوتها من خلال خطوط دفاعية متتالية ترتكز على المستعمرات المسلحة جيداً والمنسقة فى خطة دفاعية شاملة تهدف إلى انتزاع المبادأة من العرب.

الهجوم:

وهو المرحلة الثالثة التى خططت لها القيادة الإسرائيلية على أساس الاستيلاء على الأهداف الرئيسية والحيوية داخل فلسطين ثم التحول إلى الهجوم العام؛ لتدمير الجيوش العربية واحداً بعد الآخر، ونقل المعركة خارج فلسطين.

وقد نفذت إسرائيل خطتها الشاملة من خلال تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق:

المنطقة الشمالية فى مواجهة القوات السورية واللبنانية، والمنطقة الوسطى فى مواجهة القوات الأردنية والعراقية والفلسطينية، والمنطقة الجنوبية فى مواجهة القوات المصرية، وذلك بهدف توزيع وتنسيق جهود قواتها؛ لإغلاق محاور التقدم للجيوش العربية وصد هجومها على كل اتجاه كمرحلة أولى، ومن خلال المحافظة على حرية الحركة من الخطوط الداخلية، يتم التحول للهجوم على كل اتجاه حسب موقف القوات العربية عليه، و بعد النجاح فى الهجوم وتأمين الخطوط المستولى عليها يتم نقل المعركة إلى الاتجاهات الأخرى بالتتالى.

أما المستعمرات فكان دورها الرئيسى فى نجاح هذه الخطة هو استنزاف القوات العربية المهاجمة، وتهديد خطوط مواصلاتها إذا تجنبتها.

obeikandl.com

الفصل الثانى
أحداث حرب فلسطين ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩

دارت حرب ١٩٤٨ المعروفة بحرب فلسطين على الجانب العربى وبحرب التحرير على الجانب الإسرائيلى فى الفترة من يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى يوم ٧ يناير ١٩٤٩ ، وانقسمت فعليًا إلى أربع فترات قتال وأربع فترات هدنة، فرضها مجلس الأمن على القوات المتحاربة .

● المرحلة الأولى للحرب (من ١٥ مايو ١٩٤٨ إلى ١١ يونيو ١٩٤٨) :

وقد دارت خلال هذه المرحلة ١٩ معركة، منها : ٤ معارك على الجبهة المصرية فى جنوب فلسطين، و ٨ معارك على الجبهة الأردنية فى وسط فلسطين، و ٤ معارك على الجبهة العراقية، و٣ معارك على الجبهتين السورية واللبنانية فى شمال فلسطين وقد وقعت هذه المعارك كلها دون تنسيق أو تعاون متبادل داخل الجبهة الواحدة أو بين كل الجبهات العربية، وسنخص بالذكر هنا ما دار على الجبهة المصرية .

صباح يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ اندفعت القوات المصرية، وعبرت الحدود، وبدأت بمهاجمة المستعمرات المتقدمة فى مواجهة رفح، ولم تنجح فى الاستيلاء عليها فحاصرتها، وتقدمت يوم ١٦ مايو إلى غزة، وتمكنت من الاستيلاء على المستعمرات على هذا المحور، ثم تمكنت يوم ٢١ مايو من الاستيلاء على المجدل .

وفى الوقت نفسه تمكنت القوة الخفيفة التى كان يقودها المقدم أحمد عبد العزيز من الوصول إلى الخليل، ثم وصلت إلى بيت لحم يوم ٢٤ مايو، وتمكنت من الاتصال بالقوات الأردنية .

obeikandi.com

وبناء على طلب القيادة الأردنية استولت القوات المصرية على أسدود؛ لتخفيف الضغط الواقع على القوات الأردنية فى باب الواد، واحتفظت بطريق رفح ـ المجدل كمحور إمداد رئيسى كما تمكنت من قطع الطريقين الرئيسيين الموصلين بين النقب وشمال فلسطين؛ باستيلائها على بير سبع والعسلوج، وفى ٢ يونيو احتلت القوات المصرية خطين دفاعيين الأول يمتد من المجدل حتى بيت جبرين مروراً بالفالوجا، والثانى يمتد من أسدود حتى نتسانيم، بهدف عزل مستعمرات النقب وإجبارها على التسليم قبل يوم ٣ يونيو، ودارت آخر المعارك يوم ٧ يونيو، وتم فيها الاستيلاء على نتسانيم، وبذلك تم تأمين منطقة أسدود وخطوط مواصلات ومؤخرة القوات المصرية.

فى يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ كان الموقف العام فى فلسطين مبشراً بانتصار الجيوش العربية، حيث وصل الجيش العراقى إلى مسافة ١٦ كم شرق تل أبيب، والجيش المصرى إلى مسافة ٣٠ كم جنوبها، فى الوقت الذى كانت فيه القوة العسكرية الإسرائيلية على وشك الانهيار، ولم ينقذها سوى الهدنة التى فرضها مجلس الأمن فى الساعة الثامنة من صباح يوم ١١ يونيو ١٩٤٨.

ولاشك أن المشاركة الفعالة للقوات الجوية المصرية فى القتال واحتفاظها بالتفوق الجوى خلال تلك المرحلة، رغم النقص فى عدد الطيارين والطائرات والذخيرة والمعدات الفنية كان له أكبر الأثر فى نجاح القوات المصرية فى تحقيق أهداف العمليات الهجومية التى نفذتها، حيث قامت القوات الجوية المصرية بجميع المهمة المعاونة من الاستطلاع حتى ضرب تل أبيب وحيفا والمدن والمستعمرات المهمة.

أما القوات البحرية المصرية فقد نفذت العديد من أعمال القتال البحرية التى بدأت بأعمال الحراسة وتأمين الشواطئ، ووصلت إلى ضرب ميناء قيصرية يوم ٢ يونيو، ومحاولة قفل ميناء تل أبيب يوم ٤ يونيو.

وبصفة عامة كان النجاح هو حليف القوات العربية والجيش المصرى فى هذه المرحلة، رغم العديد من نقاط الضعف فى التنظيم والتخطيط للعمليات، ورغم الضعف الواضح للجيوش العربية، ويمكن القول إن نجاح الجيوش العربية فى هذه المرحلة كان سببه الشعور الوطنى والدينى والمبادأة التى امتلكتها الجيوش العربية فى

بداية الحرب ومواصلة القتال على كل الجبهات فى وقت واحد مما أجبر الإسرائيليين على توزيع جهودهم على كل الجبهات.

ومع ذلك فقد تمكن الإسرائيليون من تحقيق هدفهم من هذه المرحلة، وهو إنهاك واستنزاف القوات العربية وإجبارها على اتخاذ أوضاع دفاعية متباعدة وهشه لا يتوفر لها احتياطيات قوية، وكان للمستعمرات النصيب الأكبر فى تحقيق هذا الهدف، كما تمكنت المستعمرات التى لم تسقط من إجبار العرب على ترك قوات لحصارها مما أضعف القوة الضاربة للجيوش العربية، بالإضافة إلى ضعف تأمين خطوط ومحاور الإمداد للقوات العربية نتيجة لوجود مستعمرات لم تحاصر، وإنما تم تجنبها فقط.

ورغم ذلك فقد كان الوضع العام خطيراً فالإسرائيليون على وشك الهزيمة والهدف على وشك الضياع، وكان لابد للدول الاستعمارية والصهيونية العالمية أن تتحرك، فكانت الهدنة الأولى التى فرضها مجلس الأمن يوم ١١ يونيو الساعة ٨ صباحًا.

• الهدنة الأولى من ١١ يونيو إلى ٨ يوليو ١٩٤٨ (الخريطة رقم ٥) :

تعتبر الهدنة الأولى التى استمرت حوالى ٤ أسابيع هى نقطة التحول الرئيسية فى حرب فلسطين ١٩٤٨، حيث استغلت الصهيونية العالمية والغرب الفرصة المتاحة لنجدة الجيش الإسرائيلى فى فلسطين بدعمه بالسلاح والذخيرة والمتطوعين حتى وصلت قوة الجيش إلى نحو ١٠٦ ألف مقاتل كما عززت القوات البحرية الإسرائيلية، وفى الوقت نفسه أعادت القيادة الإسرائيلية تنظيم الجيش وتعديل أوضاع القوات أمام القوات العربية، وخاصة الجيش المصرى (رغم مخالفة ذلك للهدنة) باحتلال نقط وثوب وهيئات حاكمة تحقق لها السيطرة على مناطق العمليات المقبلة، بالإضافة إلى ذلك غيرت القيادة الإسرائيلية من عقيدتها القتالية وقررت انتزاع المبادأة من الجيوش العربية والتحول إلى العمليات الهجومية لتدميرها.

وعلى الناحية العربية لم تستغل فترة الهدنة لدعم الجيوش العربية بالسلاح

والذخيرة والمعدات واقتصر الدعم على القوة البشرية فقط وأصبح الوضع فى المناطق الدفاعية العربية والمصرية سيئًا، فالقوات تفتقر إلى السلاح والذخيرة والمعدات. ولكن من أين تأتى هذه المطالب فالدول تحت السيطرة البريطانية والفرنسية، والجيوش منقسمة إلى جزأين: جزء أكبر يحمى الحكام الموالين لبريطانيا، وفرنسا وجزء أصغر فى فلسطين تم إنهاكه واستنفاذه.

ولاشك أن أساليب القتال العربية التى خبرها الإسرائيليون فى المرحلة الأولى للقتال كان قد تم تحليلها جيداً بواسطة القيادات المحنكة التى انضمت إلى الجيش الإسرائيلى فى فترة ما قبل الحرب وأثناء الهدنة، وبالتالى وضعت الخطط العسكرية لاستئناف القتال فى شكل عمليات هجومية سريعة، تعتمد على دروس الحرب العالمية الثانية من عمليات الالتفاف والتطويق والتخطى والوصول إلى عمق الدفاعات وقطع خطوط الإمداد اعتماداً على مواجهة الجبهات واحدة تلو الأخرى.

• المرحلة الثانية من الحرب (من ٨ يوليو ١٩٤٨ إلى ١٣ مارس ١٩٤٩) :

*** الفترة من ٨ يوليو حتى ١٩ يوليو ١٩٤٨ :**

كان الموقع فى اللد والرملة محتلاً بواسطة قوات الأردن، وتحت قيادتها عدد من المتطوعين، وفى ١٠ / ٧ / ١٩٤٨ قامت الطائرات الإسرائيلية بإلقاء القنابل على المدينتين ثم تقدمت بعض القوات فى اتجاهها يوم ١١ / ٧ فانسحبت القوات العربية الأردنية من اللد والرملة، وكما قال الجنرال جلوب باشا قائد الجيش الأردنى: فقد كان الانسحاب بغرض تركيز الدفاع عن المدينة القديمة (القدس) ورفض الجنرال جلوب باشا أى محاولة لاستعادة المدينتين فيما بعد إلا إذا تدخل الجيش العراقى وحلّ بقواته محل ٣ كتائب للجيش الأردنى، وهو ما رفضه الجيش العراقى بدعوى ضعف القوات المتيسرة، وكان هذا الاختلاف فى مثل هذا الوقت هو السبب الرئيسى فى حصار قوات اللواء الرابع المشاة المصرى فى الفالوجا.

بدأت القوات الإسرائيلية يوم ١٤ يوليو ١٩٤٨ بهجوم لاستعادة المواقع التى استولى عليها الجيش المصرى ولفك الحصار عن مستعمرات النقب إلا أن الهجوم فشل تماماً فى إحراز أى نجاح.

وفى يوم ١٧ يوليو كانت القوات الإسرائيلية قد حققت نجاحًا ضد الجبهة الأردنية، فأعادت حشد قواتها أمام الجبهة المصرية، وقامت بالهجوم على القوات المصرية؛ لاستعادة المواقع الإسرائيلية التى استولت عليها القوات المصرية شمال طريق المجدل ـ بيت جبرين، ثم تنفيذ اختراق عميق عند منطقة كراتيا؛ لفتح الطريق إلى مستعمرات النقب المحاصرة منذ ٣ يونيو ١٩٤٨، والتى أوشكت على الاستسلام وذلك قبل أن يحل موعد الهدنة الثانية، وتتوقف الأعمال القتالية.

وببدء الهجوم الإسرائيلى ليلة ١٧/ ١٨ يوليو نجحت القوات الإسرائيلية فى استعادة بعض المواقع، خاصة المشرفة على الطريق الرئيسى المار بين المجدل والخليل بالقرب من الفالوجا، وتمكنت من صد الهجمات المضادة المصرية، ثم بدأت الهدنة الثانية الساعة ١٧٠٠ يوم ١٨ يوليو.

ولكن العقيد سيد طه قائد اللواء الرابع المشاة المصرى والذى اشتهر باسم الضبع الأسود، أمر بإعادة احتلال سلسلة الهيئات المشرفة على المواقع الإسرائيلية، وأخذ فى تمهيد طريق تبادلى بقواته؛ ليصل المجدل بالفالوجا بعد أن سيطرت القوات الإسرائيلية على الطريق المرصوف. وعلاوة على ذلك، فقد نجحت قوات اللواء الرابع المشاة فى إغلاق الثغرة التى فتحتها الهجمات الإسرائيلية؛ لتموين مستعمرات النقب، وبدأت فى تجهيز الخط الدفاعى على أوضاعه الجديدة.

● وبدأت الهدنة الثانية فعليًا صباح يوم ١٩ يوليو ١٩٤٨، واستمرت حتى ١٤ أكتوبر ١٩٤٨.

❋ الفترة النهائية للحرب ١٥ أكتوبر إلى ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ (الخريطة رقم ٦) :

بحلول يوم ١٥ أكتوبر كانت القوات العربية على الجبهات الأخرى قد تم تحييدها تمامًا إما بالهزيمة أو الاتفاقات السرية، وبالتالى وجهت القيادة الإسرائيلية كل جهودها إلى الجيش المصرى؛ لتدميره بصفة نهائية.

ولأول مرة خلال هذه الحرب بدأت القوات الإسرائيلية الهجوم بتوجيه ضربة جوية مركزة صباح يوم ١٦ أكتوبر على مطار العريش ومناطق غزة والمجدل ودير

سنيد والفالوجا وأسدود، وبتدمير مطار العريش انتقلت السيادة الجوية لصالح إسرائيل.

واندفعت القوات الإسرائيلية مستغلة المفاجأة التى أحدثتها الضربة الجوية لمهاجمة المواقع المصرية فى قطاع النقب المحاصر إلى ساحل البحر؛ لتقطع طريق انسحاب القوات المصرية.

ونتيجة للنجاح المتتالى للقوات الإسرائيلية حوصرت القوات المصرية فى الفالوجا، وبصباح ١٩ أكتوبر نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على بير سبع ونتيجة تدهور الموقف تم إخلاء أسدود والمجدل من القوات المصرية فى الفترة من ٢٧ أكتوبر إلى ٥ نوفمبر.

وبذلك انتهت حلقة الحصار على مستعمرات النقب، وأصبح الطريق مفتوحًا إلى الحدود المصرية مع استمرار القوات الإسرائيلية فى حصار اللواء الرابع المشاة المصرى فى الفالوجا.

وفى ذات الوقت الذى سيطرت فيه القوات الجوية الإسرائيلية على سماء المعركة، نجحت القطع البحرية الإسرائيلية فى السيطرة على الساحل الشمالى لمنطقة القتال، بل إنها أغرقت السفينة فاروقًا أكبر قطعة بحرية فى الأسطول المصرى شمال غزة يوم ٢٢ أكتوبر.

واعتبارًا من ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ سادت الهدنة الثالثة التى قررها مجلس الأمن الساعه ١٤٠٠ يوم ٢١ أكتوبر، أى قبل إغراق السفينة فاروق.

وأصبح موقف القوات المصرية فى مسرح العمليات سيئًا للغاية، فاللواء الرابع المشاة محاصر فى الفالوجا، ويعانى من الخسائر فى الأفراد والنقص فى السلاح والذخيرة والإمدادات الإدارية، وباقى القوات المصرية المبعثرة تعانى أيضًا من الخسائر ونقص الأسلحة والذخائر، وعدم وجود المعاونة الجوية أو البحرية، والعجز الشديد فى قطع المدفعية والدبابات والأسلحة المضادة للدبابات، وازدادت الأحوال سوءًا بوجود بعض الذخائر الفاسدة والأسلحة الغير صالحة التى وصلت كإمدادات للقوات.

obeikandl.com

وفى ٧ نوفمبر ١٩٤٨ بدأ انسحاب القوات المصرية المقاتلة فى فلسطين إلى خط العوجة ـ غزة، بعد أن رفض الملك فاروق مبدأ سحب القوات المصرية من فلسطين.

*** الهجوم الإسرائيلى على مصر ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ ـ ٧ يناير ١٩٤٩ (الخريطة رقم٧):**

على الرغم من صعوبة موقف القوات المصرية إلا أن الحكومة المصرية رفضت إجراء مفاوضات حول الهدنة الدائمة ما لم تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خطوط الهدنة المؤقتة التى كانت قائمة قبل ١٥ أكتوبر ١٩٤٨.

ولإجبار مصر على قبول الهدنة الدائمة قررت القيادة الإسرائيلية القيام بعملية هجومية؛ لتصفية الموقف على الجبهة الجنوبية وطرد الجيش المصرى نهائيًا من فلسطين، ولاشك أن الموقف السياسى والعسكرى فى المنطقة كان متاحًا لذلك فالجيوش العربية قد تمت هزيمتها بالتتالى، وتوقفت عن القتال، والجيش المصرى يعانى من سوء حالة المعدات والأسلحة والذخائر ونقص الأفراد والانخفاض الحاد فى الروح المعنوية.

وبعد هجوم جوى مركز، وقصف بحرى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ بدأ الإسرائيليون بتنفيذ هجوم خداعى على محور غزة ـ رفح فى قطاع دير البلح وخان يونس، ولمدة ثلاثة أيام متتالية نجح الإسرائيليون خلالها فى جذب الجهود المصرية إلى هذا الاتجاه.

ثم بدأ الهجوم الرئيسى ليلة ٢٥/ ٢٦ ديسمبر على محور العسلوج – العوجة وفى البداية تكبدت القوات المهاجمة خسائر كبيرة، وفشل الهجوم مما اضطر القوات إلى إعادة الهجوم من الجنوب يوم ٢٧ ديسمبر بعد قطع طريق رفح – العوجة لمنع وصول الإمدادات من القوات التى تم جذبها إلى اتجاه الهجوم الخداعى الأول.

وفى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على منطقة أبو عجيلة داخل الأراضى المصرية، واندفعت فى اتجاه العريش إلا أنها قوبلت بمقاومة باسلة فى منطقة بيرلحفن من كتيبة مشاة، فاضطرت إلى الانسحاب مرة أخرى إلى «أبو عجيلة» ثم بير سبع تحت ضغط الهجمات الجوية المصرية العنيفة.

وفى الوقت نفسه فشلت الهجمات الإسرائيلية على رفح طوال الفترة ١ – ٧ يناير ١٩٤٩ .

وتحت تأثير الهجمات المتتالية للقوات الجوية المصرية، وبفضل صمود القوات المصرية فى العريش ورفح، ونتيجة لوساطة بعض الدول الكبرى وقرار مجلس الأمن بوقف القتال فقد توقف القتال، وانسحبت القوات الإسرائيلية إلى الحدود المصرية الفلسطينية تقريبًا باستثناء قطاع غزة الذى ظل تحت السيطرة المصرية، وبقى جيب الفالوجا المحاصر .

وبداية من ١٣ يناير ١٩٤٩ دخلت مصر وإسرائيل فى مفاوضات الهدنة فى جزيرة رودس إلى أن تم توقيع اتفاق الهدنة بين الطرفين فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، وبمقتضاها انتهى حصار قوات الفالوجا التى وصلت طلائعها إلى الحدود المصرية يوم ٢٦ فبراير ١٩٤٩.

الخاتمة :

من المنطقى أن يتم تحليل المعارك التى دارت والقرارات التى اتخذت ونتائجها والخروج بالدروس المستفادة فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ، ولكننى أرى أن فى هذا مضيعة للوقت، فكيف يمكن تحليل أعمال جيوش دول تحت الاحتلال الأجنبى الذى بارك وتبنى قيام الدولة المعادية، وبالتالى داوم على إعدادها للحرب طوال السنوات السابقة لهذه الحرب، وفى الوقت نفسه حرص على إبقاء جيوش الدول التى يحتلها دون مستوى الأداء العسكرى الذى يمكن تقييمه، ومع ذلك يمكن الخروج بهذه المجموعة من الدروس المستفادة :

* أظهرت حرب ١٩٤٨ أن قوة الجيوش لا تقاس بعددها وحماسها فقط، وأن الحروب الحديثة تحتاج إلى تنظيم وتخطيط وتعاون وقادة على المستوى العلمى والخبرة المناسبة، كما تحتاج القوات إلى التسليح الحديث والذخيرة الكافية، والتدريب، ناهيك عن وسائل النقل والاتصال .

* أظهرت تلك الحرب أهمية نشاط المخابرات فى الحصول على المعلومات عن

أوضاع وتسليح وقوة العدو وحالة قواته ونوايا قادته، وذلك لتوفير المعلومات الكافية لتخطيط العمليات الناجحة لهزيمة العدو.

*** من أهم ما أظهرته أحداث حرب ١٩٤٨ ، مبدأ مهم أن القائد فى ميدان المعركة هو الأقدر على تقدير موقفه وعلى القيادة العليا العسكرية والسياسية تقدير واحترام هذا المبدأ، وبذل الجهد لمعاونته على تنفيذ قراره.**

*** من أهم الدروس التى أبرزتها الحرب أن الهدنة أو قرار وقف إطلاق النار هو عمل سياسى بالدرجة الأولى، وبالتالى فهو يتصف بما تتصف به السياسة بصفة عامة من التفاوض والمراوغة والخداع واختلاق الأسباب والأعذار للتنصل من المسئوليات لكسب الوقت لتغيير ميزان القوى، وعلى القيادة السياسية أن تكون مستعدة لاستمرار القوات فى القتال لعدة ساعات أو أيام تحت أى أسباب؛ لتحقيق أوضاع عسكرية أفضل أو لاستكمال مهمة ناجحة، دون التورط فى إغضاب المجتمع الدولى ودفعه إلى توقيع العقاب أو التدخل فى الحرب إلى جانب العدو.**

* أوضحت هذه الحرب مدى قصور الرؤية بعيدة المدى للقيادة السياسية والعسكرية فى وضع التصور الصحيح؛ لتطور الحرب وعوامل التأثير المحتملة فيها، وبالتالى اتخاذ التدابير والخطط البديلة لمواجهة التغييرات المتوقعة.

إن الانتصارات التى أحرزتها القوات العربية خاصة المصرية فى بعض مراحل هذه الحرب ترجع بالدرجة الأولى إلى مجموعة الضباط والأفراد الوطنيين المتمسكين بوطنيتهم ودينهم، والذين كانوا يمثلون النواة الحقيقية لثورة يوليو ١٩٥٢ التى كانت هزيمة حرب فلسطين أكبر محرك لها.

ولاشك أن الحديث عن حرب فلسطين ١٩٤٨ التى استمرت أكثر من ٧ شهور تخللتها فترات قتال وفترات هدنة، وحفلت بالعديد من مراحل النصر والانكسار وتدخلت فيها السياسة مرات ومرات، تتطلب كتبًا كثيرة وليس بابًا من كتاب، فهى ذاخرة بالأحداث على المستوى العربى والمصرى والدولى فى واحد من أضعف عصور العرب على مر التاريخ.